

مفهوم مصطلح «الخبيث» في المعاجم اللغوية والاستعمال القرآني *

أ. علي يوسف الرواشده **

أ. د. عبد الله أبو السعود بدر ***

* تاريخ التسليم: 2014 / 3 / 25م، تاريخ القبول: 2014 / 5 / 6م.
** طالب دكتوراه/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة اليرموك/ اربد/ الأردن.
*** أستاذ/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة اليرموك/ اربد/ الأردن.

ملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم مصطلح «الخَبِيث» في الاستعمالين اللغوي والقرآني، مبينا بداية مفهوم المصطلح، وموضوعه باعتباره علماً مستقلاً له أهميته في فهم النصوص والمصطلحات القرآنية، والتعرف إلى معنى مصطلح «الخَبِيث» في القرآن الكريم، ومدى علاقته بالمعاجم اللغوية كمدخل تمهيدي لعبور فهم فحوى عنوان البحث.

ولكي تكتمل الصورة وضوحاً يتطلب منا: استقراء موارد المصطلح في القرآن الكريم من حيث: الإحصاء المتمثل بمواطن الورد في القرآن الكريم، ومن حيث: وصف صيغ الاشتقاقات التي وردت به، وتحليل معطيات هذه الموارد من حيث الحجم والشكل، ثم الانتهاء إلى تحليل معانيه الجزئية المتضمنة في كل مورد، وفي حال معرفة هذه الأمور سألفة الذكر، سيتم على غرارها استنباط تعريف ومفهوم له في القرآن الكريم.

The Concept of the Term «Malignant» in Dictionaries and Its Uses in the Quran

Abstract:

This paper tackles the concept of the «malignant» in its linguistic and Quranic uses. It introduces the definition of the term considering its topic an independent science that has its importance in understanding the texts and the Quranic terms. Also it aims at identifying the definition of « malignant» in the Holy Quran and its relation with linguistic dictionaries as a preliminary step to understand the main idea of this research.

To be more precise, we should extrapolate the term's occurrences in the Quran in terms of statistics which is represented by the places of its mentioning in the Holy Quran, describing its derivational forms, analyzing these occurrences in terms of size and form and finally by analyzing its partial meanings implied in each occurrence. When the aforementioned aspects have been realized, there will be an elicitation of a definition of the concept in the Holy Quran.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فهذا بحث عن مفهوم مصطلح «الخبِيث» في القرآن الكريم، ولعلم المصطلح ارتباط وثيق بالدراسات القرآنية، فالقرآن مجموعة من المفاهيم داخل النصوص ونسق منها، إذا حُصِّلت حُصِّلت كليات الدين وإذا لم تفقه لم يفقه الدين، ولا سبيل إلى التفقه في النص القرآني بغير دراسة مصطلحاته، ورصدها، وتحديد أبعادها، والتدقيق في حدودها وأفاقها، وسبر أغوار مفاهيمها ومقارنتها، والوقوف على تباين دلالاتها بتأثير تباين امتداداتها داخل النسيج المفهومي للنص القرآني، واختلاف معاني مبانيها باختلاف القضايا التي طرحت فيها.

ولا شك في أن ذلك من شأنه، أن يحقق النقل من الفهم السطحي المهمَّش للقرآن الكريم إلى الفهم العلمي الدقيق، ويُمكِّن على أساسه من بناء قواعد فكرية وهيكلية بنوية متماسكة في نظرة القرآن إلى الوجود والحياة والإنسان والمجتمع، ويقلل من استعار النزاع حول كثير من الآيات والقيم القرآنية، وتتبلور الرؤية الفقهية لكثير من الأحكام الشرعية التي ابتعد فيها بعض الفقهاء عن القرآن بمسافة، دون التفات منهم أحياناً إلى كلية النص القرآني وأنساقه، مما أضع كثيراً من المفاهيم والمعاني. فالمصطلحات القرآنية مفتاح وصول العقول إلى مراد الله عز وجل.

من هنا يجب دراستها بعمق وتمعن وإعمال فكر، من أجل تجنب مخاطر الخلطة والاضطراب والاختلاف في فهم كتاب الله العظيم وتدبره، مما نحن بأمس الحاجة إلى الابتعاد عنه في عصرنا الحاضر الذي آلت إليه الأمة اليوم من تمزق وتشردم.

وبناءً على ذلك جاء تقسيم البحث كالتالي:

1. مقدمة تشمل أهمية الموضوع، ومحدداته، والجديد المرجو منه، ومفهوم المصطلح في اللغة والاصطلاح بشكل عام والاصطلاح القرآني بشكل خاص، وموضوعه كعلم مستقل له أهميته في فهم النصوص والمصطلحات القرآنية.

2. المبحث الأول: مفهوم مصطلح «الخَبِيث» في المعاجم اللغوية والاصطلاح القرآني.
3. المبحث الثاني: حد «الخبيث» في اصطلاح القرآن الكريم.
4. الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

تهييد:

مفهوم المصطلح:

يعدُّ المصطلح هوية العلوم بكل ما يحمله من لافتات معرفية فلسفية، اجتماعية، ولغوية وغير ذلك، فبدون معرفة المصطلحات لا يمكننا إدراك العلم، ولا فهم مكنوناته الماضية في الاتساع والعمق.

يقول الدكتور البوشيخي⁽¹⁾: «المصطلح: عنوان المفهوم، والمفهوم أساس الرؤية، والرؤية نظارة الإبصار التي تريك الأشياء كما هي؛ بأحجامها وأشكالها وألوانها الطبيعية»⁽²⁾.

ويقول الدكتور القاسمي: «المصطلحية علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها»⁽³⁾.

من هذا المنطلق أخذت الدراسة المصطلحية تستأثر باهتمام كبير من الباحثين والدارسين بعدما تحقق حضورها على مستوى البحث العلمي والأكاديمي، فامتدت وشملت مجموعة من الحقول المعرفية المرتبطة أساساً بعلوم الإنسان، كما امتدت لتشمل أغوار هذه الحقول، وتقدم نتائج طلبعية للوصول إلى حقائقها ودقائقها، فدراسة المصطلح عودة إلى الواقع العلمي الصحيح التي يتم من خلالها الكشف عن غطاء الغفلة المعرفية التي شملت كثيراً من الدراسات والبحوث. ومن هنا سنقف بداية على مفهوم المصطلح، وموضوعه، ومنهجه كمدخل للدراسة.

◀ أولاً - تعريف المصطلح:

لفظ «مصطلح» مصدر ميمي من الفعل «اصطلح» الذي يرجع إلى المادة اللغوية «صلح» وهي مادة تفيد معنى ضد الفساد، قال الجوهرى في الصحاح: «الصلاح ضد الفساد»⁽⁴⁾، والصلاح من الصُلح. كما تفيد معنى الاتفاق، جاء في لسان العرب: «والصلح: تصالح القوم بينهم»⁽⁵⁾، أي اتفقوا. وقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه «قال: «هذا ما أصطلح عليه محمد رسول الله»⁽⁶⁾، أي اتفق. وبين المعنيين تقارب دلالي فإصلاح الفساد بين الناس أو القوم لا يتم إلا باتفاقهم.

والاصطلاح مصدر، ويعني الاتفاق، وفي ذلك يقول الجرجاني: الاصطلاح: «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول. وقيل: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى. وقيل: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد. وقيل: لفظ معين بين قوم معينين» (7).

وقال أبو البقاء الكفوي: «هو اتفاق القوم على وضع الشيء» (8).

وقال التهانوي: «هو العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص، أو لمشاركتها في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها» (9).

وقال احمد فارس الشدياق: «اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص» (10).

وقال الدكتور حجازي: «مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها» (11).

وقال الدكتور شاهين: «اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة» (12).

ويلاحظ مما سبق أن المصطلح والاصطلاح لفظان بمعنى واحد - ولا مشاحة في الاصطلاح فيهما - حيث تتوافر فيه الشروط الآتية:

- الاتفاق على الدلالة على معنى معين.
 - اختلاف دلالة الجديدة عن دلالة اللغوية الأولى.
 - علاقة مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين المدلول الجديد والمدلول الأولي.
- وعلم المصطلح: يعدُّ علماً قائماً بحد ذاته، كباقي العلوم المعرفية، له أهمية كبيرة في فهم المصطلحات والألفاظ، عرفه بعض أهل الاختصاص كالاتي:

■ قال الدكتور عبد الصبور شاهين: «هو العلم الذي يتخذ من مصطلحات العلوم موضوعاً له، وفق منهج خاص بغرض تبين وبيان مفاهيمها في الواقع والتاريخ معاً» (13).

■ وقال الدكتور علي القاسمي: «هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية، التي تعبر عنها» (14).

■ وقال الدكتور فريد الأنصاري: «هو العلم الذي يدرس الواقع الدلالي، من حيث مفهومه وخصائصه المكونة له، وفروعه المتولدة عنه، ضمن مجاله العلمي المدروس به» (15).

■ وقالت الدكتورة فريدة زمرد: «هو العلم الذي يقوم على استخراج اصطلاحات نص من نصوص علم ما، وتحليل استعمالاتها، ثم تعليل معانيها، وتصنيفها بحسب شواهد النص نفسه؛ من أجل تعريف المفاهيم التي تدل عليها تلك المصطلحات»⁽¹⁶⁾.

بالنظر إلى ما سبق من التعريفات: يتبين أنّ مفهوم علم المصطلح، وإن تباينت وجهات النظر في تحديد مفهومه بين العلماء، يبقى علماً برأسه، مداره المصطلحات وما يدور في فلكها بقصد تحليلها وتعليل معانيها؛ للوصول إلى فهمها، وفق منهج علمي سليم.

ومنهجنا في هذا البحث هو المنهج التحليلي التعليلي، الذي يقوم على خمسة أركان رئيسية هي: الدراسة الإحصائية، والمعجمية، والنصية والمفهومية، والعرض المصطلحي.

1. الدراسة الإحصائية: تعني إحصاء النصوص التي وردت بها مصطلح «الخَبِيث» في القرآن الكريم وكيفما وردت، وبأي معنى وصورة لفظية وردت، من حيث الاسمية والفعلية، والإفراد والتراكيب الإضافية، والاشتقاق من جذره اللغوي والقضايا العلمية المندرجة تحت مفهومه.

2. الدراسة المعجمية: دراسة معنى مصطلح «الخَبِيث» في المعاجم اللغوية والاصطلاحية دراسة تضع نصب عينها مدار المادة اللغوية للمصطلح، من أي المعاني اللغوية أخذ وبأي الشروح شرح.

3. الدراسة النصية: ويقصد بها دراسة مصطلح «الخَبِيث» وما يتصل به، بهدف تعريفه واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه، من صفات وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك. وهذا الركن هو عمود منهج الدراسة المصطلحية؛ كونها أكثر التصاقاً بنصوص المصطلح وما يدور في فلكها من شروح وغيرها.

4. الدراسة المفهومية: «ويقصد بها دراسة النتائج التي فهمت واستخلصت من نصوص المصطلح وما يتصل به، وتصنيفها تصنيفاً مفهوماً يجلي خلاصة التصور المستفاد لمفهوم المصطلح المدروس في المتن المدروس. وكل ما سبق يعد مرحلة الإعداد والدراسة للمصطلح.

5. العرض المصطلحي: تبدأ هذه المرحلة من حيث انتهت المرحلة السابقة، ويقصد بها «الكيفية التي ينبغي أن تعرض وتحرر عليها خلاصة الدراسة المصطلحية للمصطلح ونتائجها»⁽¹⁷⁾، وتشمل التعريف، والصفات المتمثلة بالخصائص الوظيفية التي يؤديها المصطلح داخل النص، وعلاقات المصطلح بغيره من المصطلحات، والضمائم والمشتقات.

هذه هي العناصر المفهومية التي يخضع لها عرض المصطلح. ويبقى لكل مصطلح خصوصيته النابعة من دلالته وحجم وروده في النصوص وقوته الاصطلاحية، وكل بحث في المصطلح له خصوصيته النابعة من طبيعة المتن المدروس فيه، فليست دراسة المصطلح الواحد في المتن الواحد كدراسة المصطلح المتعدد في المتن المتعدد، أو المصطلح الواحد في المتن المتعددة، أو المصطلحات المتعددة، وليست المتن النظرية كالتون التطبيقية، ولا المتن البشرية ككلام الله تعالى ورسوله.

فصفوة القول: إن الدراسة المصطلحية: «دراسة منهجية جامعة تبين مفاهيم المصطلحات من نصوصها، وتبين مقومات المعاني الذاتية للمصطلح، وامتداداته داخل النسيج المفهومي للنص عبر ضمائه واشتقاقاته والقضايا الموصولة به» (18). ومن حيث هي كذلك، فإنها تتبنى أصولاً منهجية تجمع بين الوصف والرؤية التاريخية، وتنقسم إجراءاتها المنهجية التفصيلية إلى مرحلتين:

■ أحدهما: الدراسة أو الإعداد، حيث يكون السير من الجزء إلى الكل (مروراً بالإحصاء والدراسة المعجمية والدراسة النصية والدراسة المفهومية).

■ والثانية: مرحلة العرض المصطلحي، حيث يصير السير من الكل إلى الجزء. بدءاً بما يبين مقومات المعاني الذاتية للمصطلح، من تعريف وصفات وعلاقات، وانتهاءً ببيان امتداداته وتشعباته المفهومية داخل ذاته أو خارجها، من ضمائم ومشتقات وقضايا. بكل هذه المراحل نكون قد اقتربنا من موضوع دراستنا مفهوم مصطلح «الخَبِيث» في القرآن الكريم.

البحث الأول:

مصطلح «الخَبِيث» في المعاجم اللغوية والاصطلاح القرآني:

◀ أولاً - مفهوم «الخَبِيث» في اللغة:

الخَبِيث لغة: مأخوذ من الجذر اللغوي خَبِثَ، ويعني: ضد الطيب من الرزق والولد والناس (19)، وقيل: كل شيء فاسد سواء كان من الطعام أو اللون أو الفعل (20)، والجمعُ خُبَيْثًا وخَبَيْثَةً، وخَبَائِثٌ، قال تعالى: ﴿وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: 157). قال ابن عاشور: كل ما فيه ضُرٌّ بضم الضاد وتشديد الراء، وفَسَادٌ وقَذَارَةٌ (21). ومنه الخَابِثُ والمُخْبِثُ: الذي يَتَّخِذُ أَصْحَابًا أو أَهْلًا، أو أَعْوَانًا خُبَيْثَاءَ. والخَبِيثَةُ: تعني كل كلمة قبيحة من كفر وكذب ونميمة وغير ذلك يقال:

1. أَرْضٌ خَبِيثَةٌ: سبخة لا تصلح للنبات.

2. بَلْدَةٌ خَبِيثَةٌ: لا أمان فيها كثيرة الشر، كناية عن عمل أهلها الأفعال القبيحة كاللواط .

3. امْرَأَةٌ خَبِيثَةٌ: لا تحسن نفسها وفرجها زانية، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ (النور: 26).

4. كَلِمَةٌ خَبِيثَةٌ: كلمة الكفر. كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ (إبراهيم: 26) والشجرة الخبيثة قيل: إِنَّهَا الْحَنْظَلُ، وقيل: الثوم والبصل من جهة كراهة طعمها ورائحتها.

5. نَكْهَةٌ خَبِيثَةٌ: فِيهَا نَتْنٌ وكره طعمها.

6. نَفْسٌ خَبِيثَةٌ: شريرة.

7. سَبِيٌّ خَبِيثَةٌ: إِذَا كَانَ عَنْ غَدْرٍ وَنَقْضِ عَهْدٍ فِي حِلَّةٍ شَبَهَةٍ.

والخبائث: ذُكْرَانِ الشَّيَاطِينِ وَإِنَاثِهِمْ، لقوله النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْخَلَاءَ قَالَ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ﴾ (22).

وَالْأَخْبَتَانِ: الْبَوْلُ وَالْعَائِطُ، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا يُصَلِّي الرَّجُلُ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَتَانِ﴾ (23).

وَحَبْتُ الْحَدِيدَ وَالْفِضَّةَ: مَا نَفَاهُ الْكَبِيرُ إِذَا أُذِيبَا، وَهُوَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ (24).

والخلاصة: أن المعنى اللغوي لكلمة « خَبِيثٌ » تبين أنها تدور بعد التأمل إلى معانٍ عديدة منها:

1. كل شيء فاسد سواء كان من الأطعمة أم الألوان أو الأفعال.

2. الشر من الأقوال والأفعال.

3. الرديء الخسيس النتن من الأطعمة.

4. الحرام والنجاسة. 5. والفسق والفجور.

◀ ثانيًا - مفهوم الخبيث في الاصطلاح:

من خلال استعراض واستقراء معنى «الخبِيث» في المعاجم اللغوية، واستعمالاته في القرآن الكريم وجدت أن المعنى الاصطلاحي له، لم يتعد معناه اللغوي.

قال أبو البقاء الكفوي: «الْخَبْتُ: مَا يُكْرَهُ رِدَاءٌ وَخَسَةٌ، محسوسا كَانَ أم معقولا، وَذَلِكَ يَتَنَاوَلُ الْبَاطِلَ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَالْكَذِبَ فِي الْمَقَالِ، وَالْقَبْحَ فِي الْفِعَالِ» (25)

وقال التهانوي: «الخَبِيثُ بالضم وسكون الموحّدة هو: النجاسة الحقيقية، كما أن الحدث هو النجاسة الحكمية» (26).

وقال الراغب الأصفهاني: «الخَبِيثُ والخَبِيثُ: ما يكره رداءة وخساسة، محسوسا كان أم معقولا، وأصله الرديء الجاري مجرى خَبَثِ الحديد» (27).

وقال ابن الجوزي: «الخَبِيثُ في الأَصْل: الرَدِيءُ من كل شيء. وَخَبَثُ الفضة وَالْحَدِيدِ: مَا نَفَاهُ الْكَبِيرُ عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ فِي الْحَرَامِ وَفِي الشَّرِيرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَضَدُ الْخَبِيثِ: الطَّيِّبُ» (28).

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية في معنى الخَبِيثِ في الاصطلاح هو: «عين النجاسة» (29).

وقال أبو زكريا النووي - رحمه الله - فيما ينقله عن ابن الأعرابي: «الخَبِيثُ: هو الْمَكْرُوهُ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْكَلَامِ فَهُوَ الشُّتْمُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَلِّ فَهُوَ الْكُفْرُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الطَّعَامِ فَهُوَ الْحَرَامُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّرَابِ فَهُوَ الضَّارُّ، وَالْخَبِيثُ فِي الْمَعَادِنِ مَا نَفَاهُ الْكَبِيرُ مِمَّا لَا خَيْرَ فِيهِ» (30).

يلحظ من خلال تعريفات العلماء للفظ الخَبِيثِ، أن بعضهم قد ساوى بين لفظ الخَبِيثِ والخَبِيثِ في المعنى، وهو معنى صحيح وسليم؛ كون الخَبِيثِ مصدرا له، ويحمل الصفات التي تجعله بهذا المستوى من الخسة والرداءة ممقوتا بين الناس تعافه النفوس وتستقذره وتبعد عنه في التعامل، وهذا يحقق فطرة الله التي فطر الناس عليها لقوله تعالى: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: 30)، قال الرازي: خلقه وصنعة الله تعالى التي خلق الناس عليها من الشعور بالعبودية له وقبول الحق وإدراكه (31).

ومن هذا كله، نستطيع القول: إن الخَبِيثِ هو ما لا يجوز الانتفاع به شرعا، إلا في حال الضرورة وتقدر الضرورة عندها بقدرها دون تعدد. كما نستطيع من خلال هذه التعريفات أن نستجمع تعريفا للخَبِيثِ في الاصطلاح فنقول: هو كل شيء نجس تعافه النفوس وتستكرهه سواء كان شيئا معقولا أم محسوسا، ويُعرَف بحسب موقعه في السياق في النص الوارد في القرآن الكريم، فيطلق ويراد به ما لا يوافق النفس من المحظورات.

◀ ثالثاً: مفهوم الخَبِيثِ في القرآن الكريم.

ذكر أهل التفسير أن الخَبِيثِ في القرآن على ثلاثة أوجه (32):

1. الخَبِيثِ بمعنى الحرام من المال: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (النساء: 2) قال الطبري: أعطوا يا معشر أوصياء اليتامى: أموالهم إذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد، ولا تتبدلوا أموال أيتامكم الحرام عليكم الخَبِيثَ لكم، فتأخذوا

رفائعها وخيارها وبيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم، أي لا تأخذوا الرديء الخسيس بدلا من الطيب الحلال من أموالكم⁽³³⁾.

2. الخَبِيثُ بمعنى الكافر: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: 179). قال الطبري: «حتى يميز الخبيث» وهو المنافق المستسرُّ للكفر من الطيب، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان، بالمحن والاختبار، كما ميِّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم»⁽³⁴⁾.

3. الخَبِيثُ بمعنى كلمة الكفر والشرك: وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ (إبراهيم: 26) يَعْني (كلمة) الكُفْرِ. قال الطبري: «ومثل الشرك بالله، وهي «الكلمة الخبيثة»، كشجرة خبيثة وهي الحنظل»⁽³⁵⁾.

المبحث الثاني:

حدّ «الخَبِيثِ» في اصطلاح القرآن الكريم:

القصدها هنا من الحدّ، تحديد مفهوم «الخَبِيثِ» في القرآن الكريم، بمعنى وضع تعريف له انطلاقاً من معاني المصطلح في كل النصوص التي ورد فيه، ولتحقيق ما سلف يستلزم المنازل الآتية:

■ استقراء موارد لفظ «الخَبِيثِ» في القرآن الكريم استقراءً تاماً من حيث الإحصاء (مواطن وروده في القرآن)، والوصف (الصيغ الاشتقاقية التي وردت به ومن خلاله). وهذا يعرف بالإحصاء الوصفي لموارد اللفظ في القرآن الكريم.

■ معرفة الدلالات والمعاني التي ورد فيها اللفظ في القرآن الكريم، وهذا يقتضي:

- تحليل معطيات هذه الموارد من حيث أحجامها وصيغها.

- تحليل هذه الموارد من حيث المعاني الجزئية المتضمنة في كل مورد.

وفي حال معرفة هذه الأمور، سيتم استنباط التعريف المعتبر لمصطلح «الخَبِيثِ» في القرآن الكريم.

1. الإحصاء الوصفي لموارد لفظ «الخَبِيثِ» في القرآن الكريم.

يقصد بالإحصاء الوصفي: إحصاء مواطن وروده في آيات القرآن الكريم، ومن ثم وصف أشكال الصيغ الاشتقاقية التي وردت به. فقد ورد لفظ الخَبِيثِ في القرآن الكريم من خلال سبعة (7) اشتقاقات تُكوّن في مجموعها ستة عشر (16) موضعاً⁽³⁶⁾ نبينها

في الجدول الآتي:

(الجدول 1)

حجم الورد	الاشتقاق	حجم الورد	الاشتقاق	حجم الورد	الاشتقاق
2	الْخَبَائِثُ	1	لِلْخَبِيثِينَ	1	خَبِثَ
-	-	2	خَبِيثَةٌ	7	الْخَبِيثُ
16	المجموع	2	الْخَبِيثَاتُ	1	الْخَبِيثُونَ

أهم ما يلاحظ من هذا التقسيم:

- يحتل لفظ «الخبِيث» من بين تلك الموارد: سبعة مواضع موزعة على خمس سور جميعها مدنية وهي: «البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، والأنفال»⁽³⁷⁾. ففي سورة البقرة⁽³⁸⁾: ورد اللفظ بصيغة الصفة المشبهة الدالة على الثبوت والدوام، وتقرير وتأكيد على أن الخبيث صفة ملازمة لمن يتصف به سواء كان حسيّاً أو معقولاً مضافاً إلى:
 - الأموال: كما في سورة البقرة في الآية (267) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾، وفي النساء⁽³⁹⁾: وذلك في الآية (2): قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾. (مرتين) وهذا الأمر له دلالة سببها لاحقاً.
 - الخبيث من الرجال: وهو المنافق الكافر: كما في سورة آل عمران⁽⁴⁰⁾: في الآية (179): قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (مرة واحدة).
 - الحرام من الأموال والأطعمة والأشربة... الخ: كما في سورة المائدة⁽⁴¹⁾: في الآية (100): قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾. وفي الأنفال⁽⁴²⁾: وذلك في الآية (37): قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (مرتين).
 - حضور لفظ «الخبِيث» في السور المدنية، أكثر منه في السور المكية، وهذا أيضاً له دلالة سببها لاحقاً.
 - ورد لفظ «الخبِيث» في كل الآيات معرّفاً - ما عدا الآيتين (26) في سورة إبراهيم جاءت نكرة. قوله تعالى: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ .)
 - ورد لفظ «الخبِيث» بصيغة الماضي (خَبِثَ) مرة واحدة، في حين لم يرد ولو مرة واحدة بصيغة المضارع أو الأمر، مما له دلالة واضحة سببها لاحقاً.
- وحاصل هذه الموارد من حيث الكم والصيغة والمجال الذي تنتمي إليه، يجمل

في الجدول الآتي:

(2) الجدول

شكل الورد	حجم الورد	موضع الورد	
		السورة، ورقم الآية	المجال
﴿الخبِيث من الأموال﴾ مصدر	1	البقرة (267)	مدني
﴿الخبِيث من الرجال﴾ مصدر	1	آل عمران 179	
﴿الخبِيث من الأموال﴾ مصدر	1	النساء - 2	
﴿الخبِيث من الحلال﴾ مصدر	2	المائدة - 100	
﴿الخبِيث من الأموال﴾ مصدر	2	الأنفال - 37	
7		المجموع	

وأما نسب ورود المصطلح ⁽⁴³⁾ داخل هذه الموارد: «آيات وسور» فيجمعها الجدول الآتي:

(3) الجدول

السورة	مجالها	عدد آياتها	حجم ورود المصطلح فيها	نسبة الورد
البقرة	مدني	286	1	2.22%
آل عمران	مدني	200	1	0.5%
النساء	مدني	176	1	0.56%
المائدة	مدني	120	2	1.7%
الأنفال	مدني	75	2	2.7%

وبالنظر إلى توزيع هذه النسب ⁽⁴⁴⁾ حسب السور المكية والمدنية، ثم بحسب السور مجتمعة، ثم بحسب سور القرآن كله، نحصل على النتائج الآتية:

(4) الجدول

نسبة الورد في السور المدنية	7.22%
نسبة الورد في مجموع السور التي ورد فيها المصطلح	7.22%
نسبة الورد في مجموع سور القرآن الكريم	0.5%

2. دلالات موارد لفظ «الخبِيث» في القرآن الكريم ومعانيها.

معرفة الدلالات والمعاني التي يحملها لفظ «الخبِيث» في القرآن الكريم يقتضي معرفة الآتي:

- تحليل المعطيات المستفادة من إحصاء الموارد ووصفها، وبمعنى أوضح تحليل معطى الإحصاء أو حجم ورود المصطلح - كون الدراسة مصطلحية - داخل النصوص.
- تحليل الصيغ التي وردت فيها تلك النصوص، أي شكل الورد.
- ومن ثم تحليل هذه الدلالات والمعاني.

1.2: تحليل معطى الإحصاء:

إن أهم ما يلاحظ من خلال معطى الإحصاء ما يأتي:

■ حضور مصطلح «الخبِيث» في القرآن الكريم ضئيل جدا على مستوى القرآن الكريم كله عامة وعلى مستوى السور التي ورد بها خاصة، إذا ما قيسَ بغيره من المصطلحات القرآنية، على سبيل المثال: مصطلح الأمن، الصالحات، السيئات... الخ (45). وهذا ما أثر بالفعل على البنية المفهومية للمصطلح، كما يتجلى في قلة صفاته ومحدودية علاقاته وندرة ضمائه وانحصار قضاياه داخل النص القرآني.

■ ورود المصطلح داخل السور قليل ومتفاوت الحجم (46)، حيث ورد في خمس سور جميعها مدنية، بتكرار مرة واحدة في كل سورة، ما عدا سورتي المائدة والأنفال، فقد تكرر فيهما المصطلح مرتين في كل سورة منهما، ولم يظهر في السور المكية على الإطلاق (47)، ويُفهم من هذا أن حضوره في القرآن المدني فقط. مما يدل:

- على أن أمور الأحكام والتشريع المتمثلة في تنظيم حياة المسلم، أحد المتعلقات المهمة بموضوع الخبيث بشكل عام، سواء كان متعلقاً بالأخلاق السيئة الرديئة، أو أكل الحرام من الرزق والأموال والأطعمة والأشربة، أو تميز الخبيث المنافق من المؤمن الطيب.

- من المعلوم أن القرآن المكي من خصائصه التركيز على الجانب العقدي والإيماني، فكان جل الاهتمام يوجب التركيز والتأكيد على وحدانية الله وقدرته على بعث الأجساد بعد الموت والحساب، والسخرية من المشركين وألتهتهم وتهديدهم بالعذاب المقيم في النار، ودعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر، فكان الاهتمام مُركزاً على هذه القضية، فكان من السابق لأوانه أن يغرس الأحكام والتشريعات قبل أن يهيئ القلوب لأن تستقبل هذه المفاهيم، وما موضوع الخبيث وما يتعلق به من أحكام إلا من جملة الأحكام والتشريعات التي ظهرت في القرآن المدني، حيث استقرت معالم دولة

الإسلام فكان صدور التعليمات والقوانين والأنظمة حاجة ملحة وضرورية لتنظيم حياة المسلمين.

- إن الأخلاق ليست شيئاً ثانوياً في هذا الدين، وليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك البشري، إنما هي ركيزة من ركائزه، كما أنها شاملة للسلوك البشري كله، كما أن المظاهر السلوكية كلها ذات الصبغة الخلقية الواضحة هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب، إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحق لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملي أو حين نرى عكسه، أن نتساءل: أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلى سلوك؟ فموضوع الخبائث والطيبات من الأخلاق الأساسية التي عرض لها القرآن المكي والمدني معاً، وما فاتحة القرآن الكريم عنك ببعيد بما حوت وجمعت في طياتها مقاصد القرآن الكريم كلها من عقيدة وعبادة ومنهج يحض على الإيمان من جانب، وعلى الابتعاد عن كل ما يشوب صفوة العبادة ويعكرها من أكل مال الحرام من جانب آخر؛ لأجل ذلك وجدنا الأخلاق تسير وتغرس مع المفاهيم العقديّة في النفوس في القرآن المكي، وتشكل السلاح الإيماني القوي في يدي المسلم؛ لذلك نرى الصحابة - رضي الله عنهم - تعلموا القرآن قولاً وعملاً، فأصبحوا قراناً يسير على الأرض.

2.2 - تحليل معطى شكل الورود:

في تحليلنا للصيغ والأشكال الصرفية والاشتقاقية التي ورد بها المصطلح في القرآن الكريم تلوح الملاحظ الآتية:

■ ورود المصطلح في كل النصوص بصيغة الصفة المشبهة معرفاً ولم يأت نكرة. وهذا أمر يوحي بثبات هذا المفهوم وعدم خضوعه لسنة التغير التي يمثلها الفعل وأزمنتته، وينسجم مع دلالة اللفظ أيضاً؛ وهو انه حقيقة ثابتة واقعة لا محالة سواء كان متعلقاً في الحرام من كل شيء محسوساً كان أم معقولاً، وما يترتب عليه من آثار معنوية في حال العمل والالتزام بمقتضاه. ومن ناحية أخرى كون تجنب الخبيث أساساً في قبول الأعمال، وسبباً في استجابة الدعاء؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً» ... الخ (48).

■ ورود المصطلح وصفً على وزن «فَعِيل» «وأن هذه الصيغة المميزة لهذا المصدر لا تقتضي وجود فعل ممارس لعملية الخبيث، بل هي واقعة موقع الصفة الدالة على الرداءة والخسة أي الحالة والصفة التي يوؤل إليها الخبيث وهو: الرداءة والخسة والنجاسة والنكد، وليس فعل الخبيث نفسه، وهذا ما ينسجم مع المعنى اللغوي للمصطلح: يقول ابن عاشور

وهي: «صيغة تدل على قوة الوصف في الموصوف وهو المتصف بالخَبِيث والبلد الخَبِيث: الأرض الموصوفة بالخَبِيث، وخبثها نكدها وسبخ تربتها وعدم ملاءمتها لإخراج النبات الصالح والزرع والغرس النافع، فلا يكاد ينبت فيها شيء وإن أنبت أخرج نباتا خبيثا لا خير فيه. وهو من باب التمثيل الدال على عظيم القدرة الإلهية، وعلى تأكيد وقوع البعث بعد الموت، وعلى اختلاف قابلية الناس للهدى والانتفاع به» (49). فالموقف موقف عظة واعتبار بصنع الله تعالى، وهذا ما يؤكده الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم.....» (50).

■ جاء ورود المصطلح قي أكثر موارده مقترناً ومرتبطاً بضده، وهو الطيب في أربع سور تضمنته آيات سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وهذا الأمر له دلالة:

يقول السيوطي: الأضداد أسلوب من أساليب العرب في الكلام وهو: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين كقولك: ذهب وجاء، وقام وقعد، فيعرف أحدهما بضده (51). وعلى أساس ذلك استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب الرباني في فهم المصطلحات القرآنية. وأن التفسير للشيء يكون تارة لبيان المعنى الذي يحتويه اللفظ المفسر، وتارة يكون بذكر تفسير الشيء بذكر ضده. وعلى هذا نرى أن لفظ الخَبِيث جاء مقترناً ومرتبطاً بضده وهو الطيب، وما وروده ملتصقاً بضده إلا لتقريب وتوضيح وتحديد معناه من ناحية، وإزالة الاختلاط من ناحية أخرى، حيث لو اشتبه على أحد ما هو الخَبِيث؟ لقليل له: هو ضد الطيب، فعندها يتبادر للذهن فهمه ومعرفته.

قال أبو السعود: « قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ غاية لما يفيد النفي المذكور، كأنه قيل ما يتركهم الله تعالى على ذلك الاختلاط بل يقدر الأمور ويرتب الأسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن» (52).

■ ورود المصطلح معطوفاً عليه لفظ الطيب كما جاء في سورة المائدة آية (100) مرة واحدة فقط، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ وبينه وبين الطيب طباق، يقول ابن عاشور: «والمقصود منه إثبات المفاضلة بينهما بطريق الكناية، والمقام هو الذي يُعَيَّنُ الفاضل من المفضول، فإن جعل أحدهما خبيثاً والآخر طيباً يُعَيَّنُ أن المراد تفضيل الطيب ولما كان من المعلوم أن الخَبِيث لا يساوي الطيب وأن البون بينهما بعيد، علم السامع من هذا أن المقصود: استئزال فهمه إلى تمييز الخَبِيث من الطيب في كل ما يلتبس فيه أحدهما بالآخر» (53).

3.2 - تحليل الدلالات والمعاني:

يقود التدبر العميق لكل موارد لفظ «الخبيث» في القرآن الكريم إلى مجموعة من

الدلالات والمعاني يمكن رصّها وبيانها في الوحدات الدلالية التالية:

جاء ورود المصطلح في الآيات القرآنية بعدة معانٍ بينها علماء التفسير، وهي كالآتي:

■ الرديء من المال: كما جاء في سورة البقرة (54)، في الآية (267)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾

قال الطبري: «والخبِيث: الرديء، غير الجيد، فلا تعمدوا إلى الرديء من أموالكم في صدقاتكم فتصدقوا منه، ولكن تصدقوا من الطيب الجيد» (55).

وقال ابن عاشور: «الخبِيث: المستقذر من المال المكتسب ووقع في سياق النهي يفيد عموم ما يصدق عليه اللفظ» (56).

فالرديء من المال هنا، أطلق ليدل على أي نوع من الأموال المكتسبة، سواء كان مالاً عينياً مكتسباً عن طريق التجارة: كالغش والربا، أو الثمار والزروع منه الضعيف الرديء.

■ المنافق: كما جاء في سورة آل عمران (57): في الآية (179): قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾

يكاد علماء التفسير يجمعون على أن المراد بالخبِيث في هذه الآية: تمييز المنافق المستتر بالكفر من المؤمن المخلص، قال ابن الجوزي: «هذا قول أكثر أهل المعاني» (58). وقال الطبري: «حتى يميز الخبيث من الطيب»، يعني بذلك: «حتى يميز الخبيث» وهو: «المنافق المستسرُّ للكفر من الطيب، وهو: المؤمن المخلص الصادق الإيمان» (59). وهذا المعنى الذي ألمحت إليه الآية كان بمثابة القول الفصل في معنى هذا المصطلح الذي فهم من سياق الآيات أن المقصود به حتى يميز المؤمن من المنافق المخادع.

■ الحرام من المال: كما جاء في سورة النساء (60): في الآية (2): قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾

بالرجوع إلى أقوال المفسرين يكاد جلهم يجمعون على أن المراد بالخبِيث في هذه الآية هو: الحرام من الأموال عامة، والحرام من أموال اليتيم خاصة.

قال السمرقندي: أعطوا اليتامى أموالهم التي عندكم بعد الرشد والبلاغ، لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموال اليتامى (61).

وقال الفراء: لا تأكلوا أموال اليتامى بدل أموالكم، وأموالهم عليكم حرام، وأموالكم حلال (62).

وقال الطبري: «ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم (اليتامى) بأموالكم الحلال لكم»⁽⁶³⁾. ثم أورد أقوالاً في بيان كيف كانت صفة التبديل مرجحاً أحدها، ونقل عنه معظم المفسرين هذه الأقوال حيث يقول: «اختلف أهل التأويل في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب، الذي نهوا عنه: فقال بعضهم: كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه، ويجعلون مكانه لليتيم الرديء والخسيس، فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه».

من هذا كله نخلص إلى: أن الآية تحقق مفهوماً قوياً مؤثراً تتحدث عنها سورة النساء، وتتمحور حوله يتمثل في: إنصاف المستضعفين في الأرض منهم اليتامى الذين فقدوا الرعاية الأبوية وتحقق لهم رد حقوقهم من الأموال التي بين أيدي أوصيائهم؛ مما يحقق العدل والتكافل في الأسرة والمجتمع، وخاصة رعاية حقوق الضعاف فيها، ويبدأ فيأمر الأوصياء على اليتامى أن يردوا لهم أموالهم كاملة سالمة متى بلغوا سن الرشد.

■ الحرام من المال والأطعمة والأشربة... الخ: كما جاء في سورة المائدة⁽⁶⁴⁾: وذلك في الآية (100): قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾. وفي سورة الأنفال⁽⁶⁵⁾: وذلك في الآية⁽³⁷⁾: قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

تحدثنا فيما سبق عن الخبيث من أموال اليتامى كما بينت آية سورة النساء، وكان ذلك خاصة بالحرام من أموالهم التي بين أيدي أوصيائهم، وهنا جاء ورود المصطلح يحمل معنى الحرام من الأموال سواء كان محسوساً أو معقولاً، فلنستعرض أقوال المفسرين التي تسعفنا في تحقيق هذا المفهوم.

اختلف أهل التفسير في المراد بمعنى الخبيث هنا، فمنهم من أوله بالمحسوس فقالوا معناه: الحلال من المال، ومنهم من أوله بالمعقول فقالوا: الخبيث هم المشركون، والطيب هم المؤمنون.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه - صلى الله عليه وسلم، قل يا محمد: لا يعتدل الرديء والجيد والصالح والطالح، والعاصي والمطيع لله عند الله، ولو كثر أهل المعاصي فعجبت من كثرتهم لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلوا، دون أهل معصيته، وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا⁽⁶⁶⁾.

وقال السمرقندي: لا يستوي الحلال والحرام من الأموال.⁽⁶⁷⁾

إن الناظر في المعنى الظاهر التي تفصح عنه الآية: أن مصطلح الخبيث جاء عاماً وغير مقيد فشمل الخبيث من المحسوسات: الأموال والأطعمة والأشربة... الخ، ومن المعقول مجازاً: الأنفس من الناس وما هم عليه من الإيمان والكفر والنفاق، وكلا المعنيين صحيح وجائز ويحتمل ذلك، وهذا ما أكده السعدي - رحمه الله - عندما قال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ

وَالطَّيِّبُ ﴿٦٨﴾ من كل شيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال (68).

ومع هذا فاني أميل إلى: من فسر الخبيث بالحرام من المال والأطعمة...؛ كون الآية تقع ضمن سياق الآيات التي تتحدث عنها سورتي «المائدة والأنفال» وهي الحلال من المحسوسات، والله تعالى اعلم.

الخاتمة:

ينتظم الكلام في خاتمة البحث في مسلك نجني فيه محصول ما تقدم في مباحث البحث بشكل يفضي إلى الصورة التي يرسمها القرآن الكريم لمصطلح الخبيث. ونتذوق فيه ثمرة هذه التجربة، مما ينفع في تأصيل الرؤية العلمية العامة التي وجهت هذا البحث، وأفصت إلى تحصيل تلك الثمار.

ويتلخص القول في هذا المسلك بنتائج، تتعلق بمنهج البحث وتطبيقه وهي:

1. لقد تم النظر إلى مفهوم «الخبيث» في القرآن الكريم، من خلال منهج الدراسة المصطلحية وهي دراسة كما قالت الدكتورة فريدة: «تهدف إلى تبين المفاهيم وبيانها، باتباع أصول وأدوات منهجية تعتمد الوصف وتجمع بين التحليل والتركيب، والاستقراء والاستنباط، كما يتجلى ذلك من خطواتها وإجراءاتها، سواء في الإعداد أم في العرض. وتتجلى فائدة دراسة المفاهيم القرآنية في ضوء هذا المنهج في تحرير واقع البحث في المصطلح القرآني من المذهبية في الفكر والعمومية في القول، وتعود بالمصطلح إلى مفهومه القرآني الخالص المعبر عن التصور القرآني الخالص، وخاصة إذا ما روعيت الخصوصية المنهجية في دراسة المصطلح القرآني، وكلمة الخبيث خاصة، سواء على صعيد أصول هذا المنهج أم على صعيد إجراءاته التطبيقية» (69).

2. يتخذ مصطلح «الخبيث» في القرآن الكريم معانيه التي تستمد أصلها في اللغة من معنى «الفساد والقبح والنجاسة»، وتتشعب داخل سياقات النصوص القرآنية لتشمل معاني جزئية توّول إلى معانيها سابقة الذكر أعلاه.

3. إن أهم ما يميز مصطلح «الخبيث» في القرآن، كونه مصطلحاً قليل الورد محدود الأبعاد مقارنة بغيره من المصطلحات الغنية بالمفاهيم، كمصطلح الإيمان والإسلام مثلاً، لكنه مع ذلك يتبوأ موقعا بين المفاهيم الدالة على تجليات البعد العقدي والعلمي للإسلام.

4. لقد كشف تعريف مصطلح «الخبيث» من جميع زواياه، عن خصوبة كبيرة عبرت عن نفسها من خلال أواصر القربى التي تشد المعاني الاصطلاحية من جهة، وتشد مفهوم

الخبيث في الاصطلاح القرآني من جهة أخرى، إلا أن تتبع سمات هذا المفهوم في المتن المدروس قد أسفر عن غنى وتنوع مقدرين فيها، ولكن تبقى هناك قضية يجب أن ننتبه إليها وهي: أن كل مصطلح يدخل مجال التداول القرآني الرحب، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أنك تعالج مفهوم مصطلح محكوماً بروية خاصة للإلوهية والكون والحياة والإنسان، فشتان بين معنى اللفظ في الاستعمال العادي، وبين معناه وهو يتخذ موقعة داخل منظومة مفاهيم الإسلام.

5. كشفت عملية إحصاء لفظ «الخَبِيث» من حيث حجم الورد في القرآن الكريم حضوراً معتبراً دل دلالة قوية على موقعه المتميز داخل المصطلح القرآني، ودخول مفهومه النوعي كمكونين مهمين ومعياري حاسم في نسيج النظرة الإسلامية ورويتها للأشياء.

وبناءً على ما سلف: يجزم الباحث، أن هذه النتائج والثمار السالفة الذكر ليست بدعاً من القول في الدراسات القرآنية، إنها ثمار تنتمي إلى شجرة من البحث تمتد جذورها في مجالات التفسير واللغة والأصول التي تعد من تراث هذه الأمة؛ الواجب الحفاظ عليها. ومع هذا تبقى شجرة تحتاج إلى من يغذي جذورها، ويروي ترابها؛ - كي يزداد أصلها ثباتاً، وتمتد فروعها يانعةً في السماء - بالتأصيل والتحقيق العلمي والشرعي، لمناهج الدراسات القرآنية عامة، ومنهج دراسة مصطلحاتها خاصة.

إنّ تطبيق منهج الدراسة المصطلحية، أوقف الباحث على تذوق خصوصية المصطلحات القرآنية التي تتسم بغنى المعاني، يقف معها الباحث مؤمناً ومتيقناً أنها مصطلحات من لدن حكيم عليم. كيف لا؟! والأمر يتعلق بمفاهيم كتاب لا ينضب له معين، ولا تنتهي عجائبه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: 109) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان: 27).

فمن منطلق هذا الإغناء الذي يوفره منهج الدراسة المصطلحية، يبقى الباب مفتوحاً أمام الباحثين والدارسين لكتاب الله العزيز؛ لتطوير مفهومه وتحسين عطائه على مدى الزمان.

من أجل هذا يوصي الباحث: بأن تتبنى كليات الشريعة في الجامعات، مثل هذه الدراسات في أروقة أقسامها المتعلقة بدراسة المصطلحات القرآنية دراسة مصطلحية بحتة، تحقق بمقتضاها جودة في الفهم وصفاء في المشرب، وشمولاً في النظرة، وتحصيلاً للتدبر في آيات الله تعالى؛ كونها تفتقر لمثل هذه الدراسات.

والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

1. الشاهد بن محمد البوشيخي، ولد سنة 1945م بالحريشة، قرية بؤ محمد، أستاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفأس، مدير معهد الدراسات المصطلحية بفأس، المغرب، له اهتمام واسع في مجال علم المصطلح.
2. الشاهد البوشيخي، نحو تصور حضاري للمصطلح 13.
3. علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح 7.
4. الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب الحاء فصل الصاد، (صلح) 1/383.
5. ابن منظور، لسان العرب حرف الحاء فصل الصاد (صلح) 2/517.
6. احمد، المسند، 31/212 / 18910 طبعة الرسالة للنشر، 2008م وقال الشيخ الأرنؤط: إسناده صحيح، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.
7. الجرجاني، التعريفات 1/28.
8. الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج 13.
9. التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 1/212.
10. احمد الشدياق، الجاسوس على القاموس 437.
11. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح 11.
12. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية 120.
13. المصدر السابق 120.
14. علي القاسمي، مدخل في علم المصطلح 17.
15. فريد الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاذلي 69.
16. فريدة زمر، مفهوم التأويل في القرآن الكريم 26.
17. الشاهد البوشيخي، نظرات في المصطلح والمنهج 25.
18. فريدة زمر، مفهوم التأويل في القرآن الكريم 39. بتصرف، علماً بأن القول أورده الدكتور عبد الحكيم البرقاوي، مفهوم النظر في القرآن الكريم، ولكن لعدم التمكن من الحصول على الكتاب من أجل توثيق النص رجعت لمصدر القول فاختصرته من المصدر

وان كان يشابه قوله.

19. ابن منظور، لسان العرب، فصل الخاء المعجمة 2/ 141.
20. الزبيدي، تاج العروس، فصل الخاء مع المثناة 5/ 231.
21. ابن عاشور، التحرير والتنوير 9/ 135.
22. ابن ماجه، السنن، رقم الحديث (296)، ص: 45 من طريق زيد ابن أرقم. سنن ابن ماجه، طبعة دار السلام للنشر - الرياض، ط1، 1999م. وقال الألباني: حديث صحيح.
23. رواه الإمام مسلم في الجامع الصحيح، كتاب المساجد: باب كراهية الصلاة بحضرة الطعام، رقم الحديث (560) ص، 149.
24. ابن منظور، لسان العرب، فصل الخاء المعجمة 2/ 144.
25. الكليات، للكفوي 1/ 429. وابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر 1/ 270.
26. التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 1/ 735.
27. الراغب الأصفهاني، المفردات 1/ 272.
28. ابن الجوزي، نزهة الأعين. 1/ 270.
29. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، 19/ 11.
30. النووي، المجموع شرح المذهب 2/ 75.
31. الرازي، مفاتيح الغيب التفسير 25/ 98.
32. ابن الجوزي، نزهة الأعين 1/ 270.
33. h. الطبري، جامع البيان 7/ 524.
34. المصدر السابق 7/ 424.
35. h. المصدر السابق 16/ 583.
36. حَبَيْتُ: (الأعراف، 58). الخَبِيثُ (البقرة، 267). (آل عمران، 179). (النساء، 2). (المائدة، 100) (الأنفال، 37) (مرتين). الخَبِيثُونَ (النور، 26). للخَبِيثِينَ (النور، 26). خَبِيثَةٌ (إبراهيم، 26). الخَبِيثَاتُ: (النور، 26). الخَبَائِثُ (الأعراف، 157). (الأنبياء، 74). محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص226، باب (الهاء).
37. روعي في الترتيب: ترتيب النزول حسب ما أورده السيوطي في كتابه الإتقان في علوم

القرآن 1 / 39.

38. سورة مدنية، وعدد آياتها (286)، انظر: السيوطي، الاتقان 1 / 235.
39. سورة مدنية، وعدد آياتها (176)، انظر: المصدر السابق 1 / 235.
40. سورة مدنية، وعدد آياتها (200)، انظر: المصدر السابق 1 / 235.
41. سورة مدنية، وعدد آياتها (120)، انظر: المصدر السابق 1 / 235.
42. سورة مدنية، وعدد آياتها (75)، انظر: المصدر السابق 1 / 235.
43. مصطلح (الخبِيث) فقط من غير مشتقاته السالفة الذكر، وباللغة سبعة وهي: خبث الخبيثون، الخبيثين، خبيثة، الخبيثات، الخبائث، بالإضافة إلى الخبيث.
44. أخذت النسب حسابيا إلى اقرب رقم صحيح.
45. ورد مصطلح الأمن في القرآن الكريم أكثر من (500) مرة بالإضافة إلى مشتقاته، الصالحات (180) مرة، السيئات (180) مرة. انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، امن، صلح، وأساء.
46. انظر: الجدول رقم (1)، من هذه الدراسة.
47. علماً أنه ورد بمشتقاته في السور المكية، وإنما قصدت هنا مصطلح الخبيث فقط، وباقي المشتقات سيأتي الحديث عن تحليلها في موضوع الاشتقاقات.
48. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم الحديث (1015) ص: 270.
49. ابن عاشور، التحرير والتنوير 8 / 185.
50. رواه الإمام مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم الحديث (1015) صحيح مسلم، طبعة، مكتبة ألفا للتحقيق، ص: 270.
51. السيوطي، المزهر في علوم اللغة، 1 / 305.
52. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا 2 / 119.
53. ابن عاشور، التحرير والتنوير 7 / 63.
54. سورة مدنية، وعدد آياتها (286)
55. الطبري، جامع البيان 5 / 559.
56. ابن عاشور، التحرير والتنوير 3 / 56.

57. سورة مدنية، وعدد آياتها (200).
58. ابن الجوزي، زاد المسير 1 / 352.
59. الطبري، جامع البيان 7 / 424.
60. سورة مدنية، وعدد آياتها (176)
61. السمرقندي ، بحر العلوم 1 / 279.
62. الفراء، معاني القرآن 1 / 253.
63. الطبري، جامع البيان 7 / 424.
64. سورة مدنية، وعدد آياتها (120)
65. سورة مدنية، وعدد آياتها (75)
66. الطبري، جامع البيان 11 / 96.
67. السمرقندي، بحر العلوم 1 / 421.
68. السعدي، تيسير الكريم الرحمن 1 / 245.
69. فريدة زمرد، مفهوم التأويل في القرآن الكريم 264. بتصريف ضئيل يتناسب مع الموضوع.

المصادر والمراجع:

1. الأنصاري، فريد، المصطلح الأصولي عند أشاطبي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2010م.
2. الأزهرى، محمد ابن احمد (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد مرعب، دار إحياء التراث - بيروت ط1، 2001م.
3. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط1، 1984م.
4. _____، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422 هـ.
5. ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2000م.
6. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، د. ط، 1984هـ.
7. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ.
8. ابن فارس، أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون اتحاد الكتاب العرب د. ط، 2002م.
9. _____ مجمل اللغة، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1986م.
10. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م.

11. ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه طبعة دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، ط1، 1999م.
12. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
13. أبو البقاء، أيوب بن موسى (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة - بيروت، د. ط، د. ت.
14. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط1، 1420 هـ.
15. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الهيثم - القاهرة، ط1، 2004م.
16. البوشيخي، الشاهد بن محمد، نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية مطبعة انفوا برانت - فأس - المغرب، ط1، 2002م.
17. _____ نظرات في المصطلح والمنهج، دراسات مصطلحية (2)، مطبعة انفوا برانت - فأس - المغرب، ط1، 2002م.
18. التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة، بيروت - لبنان، ط1، 1996م.
19. حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب الفجالة، مصر العربية، بدون
20. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1983م.
21. التركماني، عدنان خالد، المذهب الاقتصادي الإسلامي، مكتبة السوادبي، ط1، 1990م.
22. الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1980م.
23. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط1، 200م.

24. الرازي، ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى ألباز السعودية، ط3، 1419هـ.
25. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1420 هـ.
26. الرازي، محمد بن أبي بكر (ت: 666هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت - صيدا، ط5، 1999م.
27. الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دمشق الدار الشامية - بيروت، ط1، 1412 هـ
28. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت: 1205هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية د. ط، د. ت.
29. زمر، فريدة، مفهوم التأويل في القرآن الكريم الحديث الشريف، مطبعة أنفو برانت - فأس، ط2، 2005م.
30. السمرقندي، نصر بن محمد (المتوفى: 373هـ)، بحر العلوم، تحقيق علي محمد معوض ومجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988م.
31. السمعاني، منصور بن محمد (ت: 489هـ) تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض السعودية، ط1، 1997م.
32. سيد قطب، إبراهيم حسين أشاربي (ت: 1385هـ) في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت - القاهرة ط17، 1412 هـ.
33. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت: 911هـ) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998م.
34. _____، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1974م.
35. شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام للطباعة، القاهرة - مصر، ط1، 1986م.

36. شدياق، احمد ابن فارس أفندي، الجاسوس على القاموس، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، 1299هـ.
37. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
38. عباس، فضل حسن، أساليب البيان، دار النفائس، عمان - الأردن، ط2، 2009م، ص: 363.
39. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.
40. ألعماي، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (المعروف بتفسير أبو السعود) دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.
41. الفراء، يحيى بن زياد الديلمي (ت: 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومجموعة من العلماء، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط1، د. ت.
42. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث - مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت - لبنان، ط8، 2005م.
43. _____، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د. ط، د. ت.
44. القاسمي، علي، مقدمة في علم المصطلح، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد - العراق، ط1، 1985م.
45. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 671هـ) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية - القاهرة ط2، 1960م.
46. الماوردي: علي بن محمد البغدادي، (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.

47. مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د. ط، د. ت.
48. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الجزيرة للطباعة والنشر، الرياض - السعودية، ط1، 2008م.
49. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، المجموع شرح المهذب، بيروت، دار الفكر د. ط، د. ت.
50. الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري (ت: 468هـ)، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1141هـ.
51. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، مطبعة ذات السلاسل - الكويت ط2، 1988م.

